مُقـــدمـــة

الحمد لله الذي عرَّف وفهَّم ، وعلَّم الإنسان ما لم يكن يعلم ، وأسبغ على عباده نعماً ظاهرة وباطنة ، ووالى عليهم من مزيد آلائه مناً متظافرة متواترة . وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه، وبعد.

بهذه المقدمة من المقريزي من كتاب إغاثة الأمة نستهل هذا الكتاب الذي يعالج دور الأزهر في الممالك الإسلامية في أفريقيا في الفترة من (648 – 1330هـ/ 1250 – 1912م) ذلك أن كثيراً ممن عالجوا تاريخ الجامع الأزهر اقتصروا على علاج دوره في الحياة الثقافية في مصر دون التعرض لدوره في بقية الممالك الإسلامية في أفريقيا وخصوصاً في عصر سلاطين المماليك وما بعده ، وهو العصر الذي شهد فيه الأزهر ازدهاراً كبيراً. وأسباب اختيار هذه الفترة أنها قد شهدت اتصالاً بين مصر وأفريقيا وازدهرت العلاقات بينهما.

لذلك واجهتنا العديد من الصعوبات في إنجاز هذه الدراسة، فمنها أن ما كُتِب عن دور الأزهر في هذه الممالك الأفريقية لم يتجاوز إشارات متناثرة هنا وهناك . كما أن البحث عن حياة العلماء الأزهريين تعتريه صعوبة العثور على معلومات وافية عن الحياة الخاصة لهؤلاء العلماء ، ثم إن هناك سؤالاً برز أمامنا وهو : من هو الأزهري ؟ ومن يمكن أن يُنعت بهذه الصفة ويُنسب إلى الأزهر؟ وقد اعتبر الباحث كل من تلقى العلم في الأزهر أو درس على شيوخه وبين جدرانه أو أجيز من علمائه أو تعلم من كتبه عالماً أزهرياً.

وقد قُسِّم هذا الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول، أما المقدمة فهي دراسة تمهيدية عن الأزهر في عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، والأزهر بعد عصر المماليك . تم الحديث فيها عن نشأة الجامع الأزهر في عام 361هـ/ 972م في عهد الفاطميين ، والأيوبيين ، والمماليك وتناولت الدراسة كذلك نشاط التدريس والحياة العلمية في الأزهر في تلك الحقبة وصحب ذلك كله الاهتمام بعمارة الأزهر وحبس الأوقاف عليه للإنفاق من ريعها على الجامع الأزهر، وصحب ذلك إلقاء الأضواء على مكانة العلماء في هذه العصور

من حيث مظاهر تكريمهم وأشهرهم ومؤلفاتهم التي ألَّفوها بالإضافة إلى موضوعات الدراسة ومناهجها بالأزهر في هذه العصور.

والفصل الأول وعنوانه (ملامح الحياة العلمية في الأزهر) يتكون من أربع نقاط وهي تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين . والنقطة الثانية هي الحياة العلمية في عصر الأيوبيين . والنقطة الثالثة تتحدث عن الحياة العلمية في عصر المماليك . أما النقطة الرابعة والأخيرة فموضوعها الحياة العلمية بعد عصر المماليك .

والفصل الثاني عنوانه (الدور الديني للأزهر في أفريقيا) فيتكون من ثمان نقاط وهي أهم الممالك التي ظهر فيها دور الأزهر . ودور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية. والنقطة الثالثة تتحدث عن نشر الإسلام في القارة . والرابعة تتحدث عن تصحيح المفاهيم الدينية وغرس قواعد الدين . أما النقطة الخامسة فموضوعها إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة . والنقطة السادسة هي تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة . والنقطة السابعة موضوعها المساهمة في إنشاء العمائر الدينية . أما النقطة الثامنة والأخيرة فتتحدث عن دور الأزهر الديني بعد عصر المماليك .

والفصل الثالث يتناول (الدور العلمي والتعليمي للأزهر في أفريقيا) ، ويتكون من عشر نقاط وهي استقبال الدارسين من طلبة العلم والعلماء ، وإنشاء الأروقة اللازمة لإقامتهم بالمجان ، والأوقاف التي كانت تُخصص للإنفاق عليهم ، والعلوم التي كانوا يدرسونها ، وتأثرهم وتأثيرهم في الحياة المصرية ، وإرسال بعض علماء الأزهر المصريين لأنحاء القارة ، والمساهمة في إنشاء المؤسسات التعليمية ، والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ، أما النقطة التاسعة فتناولت أسباب بروز دور الأزهر عن نظائره من الجوامع الأخرى . والنقطة الأخيرة تتحدث عن دور الأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك .

أما بخصوص الفصل الرابع وهو تحت عنوان (الدور الاجتماعي للأزهر في أفريقيا) فيتكون من خمس نقاط وهي المشاركة في الاحتفالات الدينية ، والمساهمة في مقاومة

البدع والخرافات والأمراض الاجتماعية ، والنقطة الثالثة تتناول دور الأزهر في تطوير أساليب الحياة اليومية . وبخصوص النقطة الرابعة فتتحدث عن علاقة العلماء الأزهريين بالطبقات الاجتماعية . أما النقطة الخامسة فموضوعها هو دور الأزهر الاجتماعي بعد عصر المماليك .

أما الفصل الخامس والأخير فيأتي تحت عنوان (الدور السياسي للأزهر في أفريقيا) ويتكون من ست نقاط ، وأول هذه النقاط هي موقع العلماء الأزهريين من السلطة والحكم في أفريقيا في بلدان القارة المسلمة . والنقطة الثانية هي علاقة العلماء الأزهريين بالحكام والسلاطين . والنقطة الثالثة تتحدث عن دور علماء الأزهر في العلاقة بين الحكام والمحكومين . أما النقطة الرابعة فتتناول دور العلماء الأزهريين في الحرب والسلم . والنقطة الخامسة تتناول دور العلماء الأزهريين في العلاقات الخارجية وعملهم كسفراء للدول الإسلامية في أفريقيا . أما النقطة السادسة والأخيرة فتتناول دور الأزهر في أفريقيا بعد العصر المملوكي.

كما زُوِّد الكتاب بملاحق عبارة عن خرائط توضح الدول الأفريقية التي برز فيها دور الأزهر الحضاري . وأيضاً ألحقت به مجموعة من الصور التوضيحية . كما ألحق به بعض الجداول التوضيحية التي تلخص أهم النقاط التي وردت في الكتاب .

وفي النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء . كما أنني أرحب بملاحظتهم على ماجاء به . كما أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور / عبدالنعيم ضيفي عثمان عبدالنعيم

القاهرة في عام 2012م